

قراءة في ديوان (شرد) مؤجل) للشاعر عبدالمجيد الموسوي

في زحمة الإصدارات وسعار التأليف الذي أرهق أكتاف المكتبة وفي زمن تهافت المحتويات التواصلية يطل علينا هذا الديوان من نافذة التأجيل رغم كلِّ هذا الوجه الجمالي الذي يجعلك تعيش موسيقى لغوية على أوتار مكتشفة، لكن الأصابع التي عزفت عليها عرفت كيف تتعامل معها؛ لتعطي أنغاما دافئة وموسيقى حاملة على مقام الجمال والأدب.

كل ذلك نابعٌ من حساسية الشاعر في التعامل مع قصيدته من حيث التحكيك وتهذيب الزوائد حتى صار الكيف من غير نظريٍّ إلى الكم هو المطلب الذي حققه الشاعر في هذا الديوان المكثف بلاغيًّا ودلاليًّا وهذا لعمرِك مؤهل عالٍ من مؤهلات الترشيح والتقبُّل لدى عالم المخاطبين فيما نحسب، فالشعر قبل أن يكون حيادا عاطفيًّا، هو تحرير لغوي دقيق ونشاط كلامي عميق، كلما حرره شاعره بلغة دقيقة ومكثفة برقت درره وبلغ أثره، وهو أمر غير خاف في هذا الديوان جعله يظفر بعناية القارئ. (شرد مؤجل) هو العتبة الأولى لهذا العمل الأدبي الذي انضوى تحته 43 نصًّا ما بين قصيدة ونبذة ومقدمة وإهداء، والجميل أن هذا الديوان من إصدارات ابن المقرب الأدبي، ومن تنسيق الشاعر إبراهيم بوشفيق وتصميم الغلاف للشاعر علي النمر وهذا يعني أن الديوان حظي بعناية فائقة من أهل الدراية والفن قبل أن يخرج في صورته النهائية.

بُنيت العتبة الكبرى للديوان بناءً منقطعاً عن نصوصه المنضوية تحته حتى تتحول العلاقة بينهما إلى مسافة توتر تستوقف القارئ في محاولة شغرها تأويليًّا، فهذه العتبة المركبة تركيباً وصفيًّا تكشف غالبا عن علاقة المؤلف بنصوصه ورؤيته لها وعن الوجه المتواضع الذي يريد الشاعر أن يخرج به للمتلقي في ديوانه الأول، فمن وظائف العنوان إمّا أن يعرض صدءاً أو فجوةً في فكر ونفسية المؤلف، وإمّا أن يزيل غموضاً في فكر المتلقي، ومن الواضح أن اختيار الدال (شرد) يدل على روح أدبية متواضعة لدى المؤلف إذا ما قارناها بمستوى جمالية النصوص المحمولة.

كما أن الدال (مؤجّل) يشي بكمية المعاناة والتردد أمام مسؤولية الكتابة والطباعة، وهي حلّة صار على المؤلِّفين لزاماً ألا يخلعوها أمام شهوة الطباعة وحماس النشر حتى يتأكّدوا من أنهم أمسكوا بحبل القصيدة وأوقدوا شمعة الحياة بمثل لغة شاعرنا الموسوي:

وأمسكتُ حبلَ القصيدةِ

أملأ دلوًّا من البوح

أشرب معنى شفيفًا

ولكنني من لظّي

ما ارتويت

ورحتُ أمشطُ صحراء

روحي وأطلق كل جيادي

لأصطادَ معنى عميقًا

ورغم العنا ما اهتديت

وأبقى أجدُّ قُ شطرَ

القصيدةِ ، لاشيءَ يبرق لي في الخيال لأكتبَ مقدار بيت

إن الإحساس الموسيقي العالي بمسؤولية الكتابة من أجمل الجمال، وهذا النص رغم انتمائه للنصوص (الأنزويّة) وهي نصوص باهتة؛ لأنها تحرص على نقل مشاعر الناصّ بنصّته وليس مشاعره بالأشياء من حوله، فهي نصوص أنانية تنكفئ على نفسها، لكن بالرغم من ذلك فإن أناقة لغة الشاعر وكثافة الموسيقى وتماهر المفردات مع تراكيبها بشكلها المتماسك جعلنا نشعر برغبة في كسر أسوار الأنا فإذا بنا نعيش التجربة بشكل جماعي في نص بديع، لما يفدّمه من وفاء للغة والمجاز، وما يؤديه من التزام أمام مكتبة الأدب العربي وتاريخه العريق، ومن هنا نفهم معاناة الموسوي وتردده في ثنائية (الكتابة /المحو) و القصيدة التي (تكتبني/ أكتبها) فهو لا يكتب حتى يدنو البحر منه وتهمس له الريح:

فلن أكتفي أن تجيء

القصيدة طوعاً؛ لتكتبني

أو تجيء القصيدة جَـيـراً

لأكتبَ ما تشتهيهِ الخواطر

حتى وإن مدّت الريحُ

أعناقها للسماء وشدّ

الجميع السُّرى للرجل

فلن أركب الموجَ حتى يمور لي البحرُ،

يدنو إليّ

ويملاً بالفيض

راح اليدين

لتهمس لي الريح هُـلاً اكتفيت

إن القصيدة في مستواها الدلالي لاتخرج على سطح الورق حتى يلج البحر في دواة الشاعر، ويفيض الخبر، وتهمس الريح للخاطر بكتابتها، وهي حالة للكتابة من فيض الإلهام لا من فيض الاهتمام تجعل النص يكتب شاعره ويعينه عليه.

وهي حالة تتقاطع مع دعوة الشاعر الألماني (تشارلز بوكو فسكي) الذي أوصى بالمعاناة قبل الكتابة :

إذا كان عليك انتظارها

لتخرجَ مدوّيةً منكَ

فانتظرها بصبر

لا تفعلها إلا إذا كانت

تخرج من روحك

كالصاروخ

إلا إذا كان سكوتكُ

سيقودكُ للجنون أو

الانتحار أو الموت

إنّ الإحساس بالتجربة والاكتماء بناها قبل أن تخرج حممها في دقات موسيقية متأزرة التراكيب ومتصاهرة مع وجدان شاعرها هو أيضا ما يجعل القصيدة الإخوانية التي عُرفت عبر تاريخها بالابتدال والكلاسيكية أشبه بابتهالات روحية تحيل ابتدال المديح إلى تلاوة حميدة من نسيج البلاغة والمجاز، والممدوح الصديق إلى ملاك سماوي، وهو ما نلمسه في قصيدة (شاعر يقطف الدهشة من شجر المجاز) التي كتبها في الشاعر جاسم الصحيح وفازت بجائزة راشد بن حميد الإماراتية:

من أي متكأٍ أتيتَ محملاً

بالفيضِ قل لي من بحقك أرسلك؟!

هل كنتَ في رحم السماء معتقاً

فأتى إلهُ القافياتِ وأنزلك؟!

أولتَ ذاتك؛ كي تعيدَ جَمالَها

فسعى لك المعنى الأنيق وأولكُ

جودتَ شعركَ لم تخن آياتِهِ

رتلته مقدارَ ما هو رتلكُ

ألقتُ عليك الأبديةَ ثوبَها

فارتدَّ منك الشعر حتى طلكُ

وأنت لك الفصحى تضجُّ أناقةً

وتقول مغرمةً: حبيبي (هيتَ لكُ)

تبتلُّ منكَ الروحُ تنهمر الرؤى

مقدارَ ما انهمرَ الجَمالُ وبللكُ

تقوم هذه القصيدة على انشطار صوت الشاعر إلى صوتين؛ صوت السائل (من أي متكأٍ أتيت؟ .. من بحقك؟ .. هل كنت؟) هذا الصوت يعبر عن دهشة الشاعر بالصحيح ووجه له وذوبانه فيه، وصوت المجيب المبني على

الجمال الخيرية) أو لت ذاتك، سعى لك المعنى، جوّدت شعرك، رتلتّه، ألقّت عليك، فارتدّ منك الشعر، أتت لك الفصحى) فكأنّ الشاعر أقام بناءً حوارياً أشبه بالمنولوج الداخلي؛ لأنه تولى بنفسه الإجابة عن تلك التساؤلات، والسؤال بطبيعته ذو انتماء شعري، أما الإجابة فهي ذات انتماء خطابي أو نقدي، فقد جدّ في تقديم الإجابة بنفسه وتسلّح بالحجج المتكاثرة لكشف خيوط الإبداع لدى النموذج الشعري/ جاسم الصحيح وتدشين لحظات الدهشة والإعجاب والحميمية التي تجمعهما، لقد كانت أسئلته منصاعة لخطرات الطبع، أمّا إجاباته المدججة بالحجج والموازنات وأشكال البديع فجاءت دقيقة الصنع:

أولتَ ذاتك كي تعيد جمالها
فسعى لك المعنى الأنيق وأولك
تبتلّ منك الروح تنهمر الرؤى
مقدارَ ما انهمر الجمالُ وبلّلك

والسؤال الذي يراودني أمام هذا النص هو إذا كان عمق التجربة الفنية لدى الشاعر يجعله قادراً على التقاط مشاهد الحياة ومواقفها وإعادة صياغتها في أساليب تعبير راقية، فهل للشعر أن يعكس جماله على روح الشاعر فيصقل أخلاقه؟ وهل الشعر وحده القادر على صناعة هذه المعادلة؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن نفسر جماليات القبح في شعر الهجّائين حين يصرون غالباً عن بذاعة طبع وسوء خلق ومع ذلك يبدعون؟